السياسي الفلسطيني بفكرة العلمنة[٦١]. وفي الواقع، فلا تظهر فكرة العلمنة في أي من البيانات الرسمية لمنظمة التحرير في المرحلة المذكورة، ولا في بيانات «فتح» أو سواها من المنظمات. بيد أننا نجد لها أثراً في هذا التصريح أو ذاك[٦٢]. أما التعبير المستخدم بصورة عامة فهو «دولة غير فئوية». وفي الحقيقة، وعلى حد تعبير ياسر عرفات[٦٣]، فاننا «لم ندع لإقامة دولة علمانية. وما حصل هو أن الكاتبة الفرنسية آنيا فرانكوس قد نشرت هذا الشعار باسم الثورة الفلسطينية». ويضيف: أنا مقتنع بأن في ذلك تطويعاً أو تشويهاً لتعبير الديمقراطية الذي نستخدمه.

وكما يقول كاتب معبر عن وجهات نظر فتح، فان هذه الأخيرة لا تتكلم عن العلمنة[٦٤] لأن العرب قد يستغلون ذلك كذريعة للتخلي عن مسؤولياتهم في مساندة النضال الفلسطيني.

ولا شك أن مفهوم العلمنة ليس له حظ كبير في ان يلاقى الصدى بين الجماهير العربية، وحده حزب البعث ينادي به صراحة.

أما في ما يخص البنية الاجتماعية للدولة المقبلة فانها بعيدة عن اهتمام المنظمات الفلسطينية. ويلاحظ وجود تيارين في هذا المضمار: يتمثل الأول في الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية ويدعو الى دولة اشتراكية، ويتمثل الثاني في حركة فتح التي ترجئ البحث في هذه القضية الى ما بعد النصر. وهذا ما يعلنه عرفات[٦٥] بالقول اننا لن نناقش تركيبة الدولة الجديدة بشكل مفصّل، لأن ما نحتاجه اليوم هو أوسع تلاحم وطني ممكن.

وهذه الموضوعة الأخيرة تعود و«تجد تعبيرها» في وثائق منظمة التحرير الفلسطينية التي لا تتطرق لهذا الموضوع الاّ لماماً وبصورة غامضة.

استنتاجات

لم تختتم المناقشات بخصوص الدولة الديمقراطية بانعقاد الدورة الثامنة للمجلس الوطني الفلسطيني. انها ستستمر لأنها تتناول قضايا استراتيجية تمس مستقبل الشعب الفلسطيني بالذات. الاّ ان النقاش الذي فتح منذ سنة ١٩٦٧ طرح العديد من الأفكار وطور الفكر السياسي الفلسطيني. ولا سبيل الى فهم التطور اللاحق، وبصورة خاصة اقتراحات الحل على مراحل، المطروحة منذ سنة ١٩٧٣، بدون تقويم القفزة النوعية التي تمثلت باقرار شعار الدولة الديمقراطية.

هناك، في الدرجة الأولى، عملية «الفصل» بين الكيان الفلسطيني والأمة العربية. وبتأكيد حركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية على ضرورة الدولة الفلسطينية المستقلة فإنهما تثبتان القطع الكامل مع جميع النظريات القومية العربية التي سيطرت على الحركة الفلسطينية خلال مرحلة ١٩٤٨ ــ ١٩٦٧. وهي تؤكد ضرورة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وأهمية وجود تنظيم يقوده ويديره الفلسطينيون ويكون خاصاً بهم ويتمتع بالاستقلال عن البلدان العربية الأخرى. هذا الاستقلال ليس مطلقاً بالطبع؛ فمنظمة التحرير مرتبطة بمختلف جوانب الدعم العربي فضلاً عن التناقضات العربية،لكنها تستفيد من هذا الدعم ومن هذه التناقضات للحفاظ على حرية قرارها. ان تيارات القومية العربية على اختلاف أشكالها ولا سيما «الثورية» منها، باتت تستحوذ على أقلية محدودة ولا سيما بعد أحداث «أيلول الأسود». لذا فان قبول فكرة الدولة الفلسطينية، الموازية لمفهوم السيادة